نزلت في بعض المنافقين استأذنوا النبي A في التخلف عن تبوك ولم يبدوا عذرا يمنعهم من الغزو ولكنهم صرحوا بأن الخروج إلى الغزو يفتنهم لمحبة أموالهم وأهليهم ففضح ا أمرهم بأنهم منافقون : لأن ضمير الجمع المجرور عائد إلى (الذين لا يؤمنون با واليوم الآخر) وقيل : قال جماعة منهم : ائذن لنا لأنا قاعدون أذنت لنا أم لم تأذن فإذن لنا لئلا نقع في المعصية . وهذا من أكبر الوقاحة لأن الإذن في هذه الحالة كلا إذن ولعلهم قالوا ذلك لعملهم برفق النبي A وقيل : إن الجد بن قيس قال : يا رسول ا لقد علم الناس أني مستهتر بالنساء فإني إذا رأيت نساء بني الأصفر افتتنت بهن فأذن لي في التخلف ولا تفتني وأنا أعينك بمالي فأذن لهم . ولعل كل ذلك كان .

والإتيان بأداة الاستفتاح في جملة (ألا في الفتنة سقطوا) للتنبيه على ما بعدها من عجيب حالهم إذ عاملهم ا بنقيض مقصودهم فهم احترزوا عن فتنة فوقعوا في الفتنة . فالتعريف في الفتنة ليس تعريف العهد إذ لا معهود هنا ولكنه تعريف الجنس المؤذن بكمال المعرف في جنسه أي في الفتنة العظيمة سقطوا فأي وجه فرض في المراد من الفتنة حين قال قائلهم (ولا تفتني) كان ما وقع فيه أشد مما تفصى منه فإن أراد فتنة الدين فهو واقع في أعظم الفتنة بالشرك والنفاق وإن أراد فتنة سوء السمعة بالتخلف فقد وقع في أعظم بافتضاح أمر نفاقهم وإن أراد فتنة النكد بفراق الأهل والمال فقد وقع في أعظم نكد بكونه ملعونا مبغوضا للناس . وتقدم بيان (الفتنة) قريبا .

والسقوط مستعمل مجازا في الكون فجأة على وجه الاستعارة : شبه ذلك الكون بالسقوط في عدم التهيؤ له وفي المفاجأة باعتبار أنهم حصلوا في الفتنة في حال أمنهم من الوقوع فيها فهم كالساقط في هوة على حين ظن أنه ماش في طريق سهل ومن كلام العرب " على الخبير سقطت " .

وتقديم المجرور على عامله للاهتمام به لأنه المقصود من الجملة .

وهذه الجملة تسير مسرى المثل .

وجملة (وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) معترضة والواو اعتراضية أي وقعوا في الفتنة المفضية إلى الكفر . والكفر يستحق جهنم .

وإحاطة جهنم مراد منها عدم إفلاتهم منها فالإحاطة كناية عن عدم الإفلات . والمراد بالكافرين : جميع الكافرين فيشمل المتحدث عنهم لثبوت كفرهم بقوله (إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون با واليوم الآخر) .

لمحيطة) قوله في الظاهر بالاسم الإتيان إلى بضميرهم الإتيان عن العدول ووجه A E

بالكافرين) إثبات إحاطة جهنم بهم بطريق شبيه بالاستدلال لأن شمول الاسم الكلي لبعض جزئياته أشهر أنواع الاستدلال .

(أن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون) تتنزل هذه الجملة منزلة البيان لجملة (إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون با والليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون) وما بين الجملتين استدلال على كذبهم في ما اعتذروا به وأظهروا الاستئذان لأجله وبين هنا أن ترددهم هو أنهم يخشون ظهور أمر المسلمين فلذلك لا يصارحونهم بالإعراض ويودون خيبة المؤمنين فلذلك لا يحبون الخروج معهم .

والحسنة : الحادثة التي تحسن لمن حلت به واعترته . والمراد بها هنا النصر والغنيمة .

والمصيبة مشتقة من أصاب بمعنى حل ونال وصادف وخصت المصيبة في اللغة بالحادثة التي تعتري الإنسان فتسوءه وتحزنه ولذلك عبر عنها بالسيئة في قوله تعالى في سورة آل عمران : (إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها) . والمراد بها الهزيمة في الموضعين وقد تقدم ذلك في قوله تعالى (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) في سورة الأعراف .

وقولهم (قد أخذنا أمرنا من قبل) ابتهاج منهم بمصادفة أعمالهم ما فيه سلامتهم فيزعمون أن يقظتهم وحزمهم قد صادفا المحز إذ احتاطوا له قبل الوقوع في الضر .

والأخذ حقيقته التناول وهو هنا مستعار للاستعداد والتلافي .

والأمر الحال المهم صاحبه أي : قد استعددنا لما يهمنا فلم نقع في المصيبة